الموضوعة من هذا الاستقراء الناقص، فتضخمت بذلك اللغة وتمت مواضع النقص فيها.

ثانياً: أن النحاة قاسوا على كلمة وردت كلمات أخرى من قبيلها، من ذلك قولهم «موّيت» اذا كتبت «ما» و «لويت» اذا كتبت «لا» و «كوّفت كافاً حسنة» و «دوّلت دالاً جيدة» و «زوّيت زاياً قوية». وواضح أن العرب لم تنطق بهذا كله، ولكن النحويين قاسوه على كلام العرب واستعملوه.

ثالثاً: إن الطريقة التعليمية التى استخدمها النحويون والصرفيون جعلتهم يتوسعون فى ذلك إلى حد بعيد فيقولون: كيف تصوغ على وزن صمحمح من الضرب، والقتل والخروج، فتقول ضربرب، ومن القتل قتلتل، ومن الخروج: خرجرج.

ويقولون لو سميت رجلاً بعلى أو إلى أو لدى فكيف تثنيها، وكيف تجمعها، وكيف تصغرها؟ إلى كثير من أمثال ذلك. وقد تجاوز بذلك الواقع إلى الفروض. وهذا بعينه ماوقع لفقهاء الحنفية فى فرض الفروض، وطلب الأحكام لها.

رابعاً: اختراعهم علة لما ورد ثم قياسهم عليها. كأن يعللوا قلب الواو والياء ألفاً بأنهما متى تحركتا حركة لازمة وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفاً، ثم يقيسون على ذلك.

وهذا القياس الذى اخترع منه النحاة كليات القواعد كان له أثر كبير فى اللغة العربية.

فالنحاة بقياسهم قد أهدروا وأبطلوا كثيراً من الاستعمالات التى كان ينطق بها العرب فى نظير وضع قواعدهم الكلية.

هذه القواعد التى شددوا فى احترامها حتى خضع الناس لها، لما كان لهم من سيطرة على التعليم. وقد سموا ما خرج عن قواعدهم شذوذاً، وتعسفوا فى تأويله ليتفق ومذهبهم، حتى لقد كانوا يضعون الأبيات من الشعر للاستشهاد عليه. والواقع أن هناك فروقاً كبيرة بين اللغة كما حكيت عن العرب، وكما قعدها النحاة. فاللغة نفسها لا تخضع دائماً للقياس،